

خطبة

بيوت تُبنى بالموودة.. لا بالمادة

خطب منبرية

٧ ذو القعدة ١٤٤٧ هـ - ٢٤ أبريل ٢٠٢٦ م | أحمد إسماعيل الفشني

بيوتٌ تُبنى بالموودة.. لا بالمادة

خطبة الجمعة: ٧ ذو القعدة ١٤٤٧ هـ - ٢٤ أبريل ٢٠٢٦ م

بقلم فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل الفشني

عناصرُ الخطبة

١. العنصر الأول: ميثاق الزواج الغليظ ومقاصده السامية في الإسلام.
٢. العنصر الثاني: منهج سيدنا رسول الله ﷺ في تيسير المهور وبناء البيوت.
٣. العنصر الثالث: بركة اليسر وقصص من حياة الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم).
٤. العنصر الرابع: مخاطر المباهاة والتبذير وأثارها النفسية والاجتماعية المدمرة.
٥. العنصر الخامس: الديون والضغوط المادية وأثرها في هدم الاستقرار الأسري.
٦. العنصر السادس: تصحيح المفاهيم: دور الآباء في حماية المجتمع من غلاء المهور.

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الخلق (عز وجل)، الذي جعل التيسير سمة شريعته، والعفو والرحمة شعار دينه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، الذي قال عنه ربه (عز وجل): لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، صلى الله عليه وعلى آل سيدنا محمد، وأصحاب سيدنا محمد، وأهل بيت سيدنا محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، الذين كانوا في البساطة نجوماً، وفي العفاف والستر قدوة ومعلماً.

أما بعد: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أيها السادة الفضلاء، إن حديثنا اليوم ليس مجرد وعظ عابر، بل هو نداء استغاثة لإنقاذ بنيان الأسرة المسلمة من خطر دائم، وداء استشرى في مجتمعاتنا حتى كاد يفتك بشبابنا وفتياتنا. إننا نتحدث عن "تكاليف الزواج" التي انتقلت من كونها وسيلة لإقامة بيت شرعي، إلى عقبة كؤود وغاية للمفارقة الجوفاء. إن الإسلام حين شرع الزواج، أراد سكناً ومودة، ولم يرده عبثاً ومشقة. إننا اليوم نرى العادات والتقاليد قد طغت على جوهر الدين، فصار الشاب يحمل هم مصروفات ليلة الزفاف سنوات طوالاً، وصار الأب يئن تحت وطأة الديون من أجل شكلية لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا كله يتنافى مع روح شريعتنا الغراء ومنهجنا الوسطي المستنير.

العنصر الأول: ميثاق الزواج الغليظ ومقاصده السامية في الإسلام

إن الزواج في نظر الإسلام هو "ميثاق غليظ"، عقدٌ يجمع بين قلبين بإذن الله (عز وجل)، غايته العفاف، ووسيلته السكن، وثمرته المودة والرحمة. يقول الله (عز وجل): وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً. تأملوا كيف سمى الله (عز وجل) هذا الرباط ميثاقاً غليظاً، وهذا يقتضي أن يُبنى على أسس متينة من الصدق والإخلاص، لا على أساس من المباهاة بالأثاث أو المفاخرة بالأرقام.

إن المقصد الشرعي من الزواج هو تكوين أسرة مستقرة تخرج للمجتمع جيلاً صالحاً، وهذا الاستقرار لا يتحقق إذا كان البيت قائماً على الديون أو قائماً على مبدأ "من يدفع أكثر". إن القيمة الحقيقية للزوج تكمن في معدنه وأخلاقه، وقيمة الزوجة تكمن في دينها وحيائها، فإذا انحرفا عن هذه المقاصد وبدأنا نبحث عن "الشبكة" الباهظة و"النيش" المليء بما لا يُستخدم، فقد ضيعنا الجواهر وتمسكنا بالمظهر، وهو طريق الفشل لا محالة.

العنصر الثاني: منهج سيدنا رسول الله ﷺ في تيسير المهور وبناء البيوت

لقد كان سيدنا رسول الله ﷺ هو المعلم الأول للتيسير. فبالرغم من عظمة شأنه، إلا أنه لم يكن يرضى لبناته ولا لزوجاته إلا اليسير من المتاع واليسير من المهر.

ورد في سنن ابن ماجه والنسائي بسند صحيح عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة. تأمل يا أخي الكريم هذا الربط النبوي العجيب بين "البركة" و"اليسر". فكما زادت التكاليف، كلما قلت البركة، وكلما تيسر الأمر، نزلت بركات الله (عز وجل) على الزوجين. والبركة هي سر السعادة والسكينة، وليس كثرة المتاع.

وموقف سيدنا رسول الله ﷺ حينما زوج بنته سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) من سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هو الدرس الأكبر لنا. لقد كان جهازها بسيطاً للغاية، عبارة عن خميل (قطيفة)، وقربة، ووسادة حشوها ليف. فهل كانت السيدة فاطمة (رضي الله عنها) أقل شأنًا من بناتنا؟ وهل كان سيدنا علي (رضي الله عنه) أقل قدرًا من شبابنا؟ حاشا لله، بل كانوا أعظم الخلق قدرًا، وأكثرهم بركة، لأن بيوتهم أسست على التقوى والتيسير.

العنصر الثالث: بركة اليسر وقصص من حياة الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)

لتقريب الفهم، دعونا نتأمل في حال أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ. نذكر قصة سيدنا جليليب (رضي الله عنه)، ذلك الرجل الفقير الذي لم يكن يملك مالاً ولا جاهاً، ولكن النبي ﷺ ذهب بنفسه ليخطب له ابنة رجل من الأنصار. فتردد الأب والأم، لكن الفتاة الصالحة قالت: أتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني. فزوجها النبي ﷺ من سيدنا جليليب، ودعا لهما قائلاً: اللهم صب عليهما الخير صباً، ولا تجعل عيشهما كدًا كدًا. فبارك الله لهما حتى كانت من أكثر الأنصار مالاً وإنفاقاً.

وهنا قصة أخرى بطلها سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه)، وهو من أغنياء الصحابة. فقد تزوج بوزن "نواة من ذهب"، فلما رآه النبي ﷺ وعليه أثر طيب، سأله: ما هذا؟ قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. فقال له ﷺ: بارك الله لك، أو لم ولو بشاة. (رواه البخاري ومسلم). تأملوا، رجل ثري جداً، ومع ذلك لم يفتخر بماله ولم يبالغ في مهره، بل سلك مسلك التيسير، فكان قدوة لكل غني أن السعادة لا تُشترى بكثرة الإنفاق في ليلة واحدة.

ومن التابعين، نذكر "سيد التابعين" الإمام سعيد بن المسيب (رضي الله عنه). خطب الوليد بن عبد الملك ابنة سعيد بن المسيب، والوليد هو ابن الخليفة وولي عهده، فرفض سعيد! وزوجها لتلميذه "أبي وداعة" وكان فقيراً جداً، ولما سأله تلميذه: بم أزوجها وما أملك إلا درهمين؟ قال سعيد: بلى، وذهب فزوجها له. وفي ليلة العرس، جاء سعيد بنفسه يطرق باب تلميذه ليزف إليه زوجته، وترك معه مالاً وطعاماً. هذا هو الفهم الراقي للدين، أن نجث عن "الرجل" لا عن "المال".

العنصر الرابع: مخاطر المباحة والتبذير وآثارها النفسية والاجتماعية المدمرة

إننا نعيش اليوم في عصر "الصورة والمظاهر"، حيث صار البعض يقيم وزناً لكلام الناس أكثر مما يقيم وزناً لشرع الله (عز وجل). إن المبالغة في تكاليف الزواج تقع تحت طائلة التبذير المذموم، يقول الله (عز وجل): ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً.

إن التبذير في شراء أجهزة كهربائية تتكرر في البيت الواحد ثلاث وأربع مرات، وشراء أطقم من الأواني والمفروشات تكفي لإطعام وكسوة حي كامل، هو إضاعة للمال، وسنسال عن هذا المال يوم القيامة: من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ إن هذا التبذير يولد الحقد في قلوب الفقراء، ويجعل الشاب يرى الحلال عسيراً، مما قد يدفعه إلى الانحراف أو العزوف عن الزواج، فتنتشر العنوسة بين الفتيات، وتنتشر المفاصد في المجتمع، والسبب هو نحن الذين ضيقنا ما وسعه الله (عز وجل).

أيها السادة الكرام: إن الضغط النفسي الذي يقع على الأب ليوفر "جهازاً" مثل جيرانه، والضغط الذي يقع على الأم لتفاخر أهل قريتها، هو ضغط يقتل الفرحه. لقد رأينا آباءً يبكون من الهم، وأمهاً يبعن ذهبهن وبيوتهن من أجل شكليات تنتهي قيمتها بعد ليلة العرس بأسابيع، وهذا هو عين السفه والبعد عن المنهج القويم.

العنصر الخامس: الديون والضغوط المادية وأثرها في هدم الاستقرار الأسري

إن الثمرة المرة للمبالغة في تكاليف الزواج هي "الديون". يدخل الزوجان بيتهما الجديد وهما مثقلان بالأقساط والكمبيالات والمطالبات المالية. الشاب بدلاً من أن يفكر في إعمار بيته بالمودة، يظل ليله ونهاره يكدح لسداد ديون "الفرش" و"الذهب".

أخرج البخاري ومسلم عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يستعيز من المأثم والمغرم (الدين)، فسأله قائل: ما أكثر ما تستعيز من المغرم يا رسول الله! فقال ﷺ: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف. تأملوا هذا الأثر النفسي والاجتماعي للدين! الشاب المدين يضطر للكذب على زوجته وعلى الناس، ويخلف وعوده، فتسقط هيئته، وتبدأ المشاكل الزوجية على أتفه الأسباب، لأن النفوس مشحونة بالهم المادي.

إن الإحصائيات تشير إلى أن نسبة كبيرة من حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج سببها الأعباء المادية التي بدأت قبل الزواج. فبدلاً من أن يكون البيت سكيناً، صار سجيناً من الديون. وكم من آباء غارمين وأمهات غارمات انتهى بهم المطاف خلف القضبان بسبب تجهيز البنات، فهل يعقل أن نضحى بكرامة الوالدين من أجل ستائر وأوانٍ ومظاهر كاذبة؟

الْمُطَبَّةُ الثَّانِيَّةُ

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ.

العنصر السادس: تصحيح المفاهيم: دور الآباء في حماية المجتمع من غلاء المهور

أيها المسلمون، إن العلاج يبدأ من هنا، من فوق هذه المنابر، ومن مجالسنا في البيوت. يجب أن نصحح مفهوماً مغلوطاً، وهو أن المهر الغالي والقائمة الطويلة هي التي تحفظ حق البنت. والحقيقة أن الذي يحفظ حق البنت هو "تقوى الله (عز وجل)" في قلب الزوج.

أخرج الترمذي والنسائي عن سيدنا أبي هريرة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض. تأملوا التحذير النبوي: "فساد عريض". وهذا الفساد هو ما نراه اليوم من تعطيل الزواج وانتشار المشاكل الأسرية.

إننا ندعو إلى "مبادرة مجتمعية" يقودها كبار العائلات والمصلحون، لتيسير الزواج والاكتفاء بما هو ضروري. يجب أن نتوقف عن طلب أرقام خيالية في الشبكة، وأن نتوقف عن إجبار الشاب على فرش غرف لا تُستخدم، وأن نتوقف عن المبالغة في حفلات الزفاف. إن المنهج الوسطي يدعونا إلى "الستر" لا "الفخر".

قصة ختامية لتقريب الفهم: يُحكى أن رجلاً صالحاً تقدم لابنته شاب فقير لكنه صاحب دين وخلق، فوافق الأب. فتعجب الناس وقالوا له: كيف تزوجه وهو لا يملك شيئاً؟ فقال الأب: يا قوم، أنا زوجتها لمن إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها، والرزق بيد الله (عز وجل). فبارك الله في حياتهما، وصار هذا الشاب من أكابر الناس.

يا أيها الآباء، كونوا رحماء بالشباب، يرحمكم الله (عز وجل). يسروا الحلال يختفِ الحرام، وبسطوا المطالب يحل الوثام. تذكروا أن كل تيسير تفعله، وكل تنازل عن شكليات من أجل ستر شاب وعفاف فتاة، هو في ميزان حسناتكم، وصدقة جارية في بناء مجتمع آمن ومستقر.

السَّعَاءُ

اللهم يا ربنا ويا مولانا، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تؤلف بين قلوبنا، وأن تصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام. اللهم يسر الزواج لشبابنا، واستر فتياتنا، وبارك في أهلينا. اللهم قنا شر الشح والمباهاة، واجعلنا من الراضين القانعين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك. اللهم اجعل بيوتنا بيوت مودة ورحمة وسكينة، ولا تجعل للمادة والديون سبيلاً لهدم استقرارنا. اللهم احفظ مصرنا من كل سوء، ووفق رئيس الجمهورية لما فيه صلاح البلاد والعباد، وارزقه البطانة الصالحة الناصحة التي تعينه على تيسير أمور الناس. اللهم احفظ جيشنا وشرطتنا، وارحم شهداءنا، واجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

والله تعالى أعلم، وبالله تعالى التوفيق والسداد - كتبه فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل الفشني.

القاهرة ٢١ ابريل ٢٠٢٦ م

خطبة

تم بحمد الله

والله تعالى أعلم، وبالله تعالى التوفيق والسداد - كتبه فضيلة
الشيخ أحمد إسماعيل الفشني. القاهرة ٢١ ابريل ٢٠٢٦م

للتواصل

الموقع الرسمي: ahmedelfashny.com
فيسبوك: facebook.com/share/1AcZYBDpD5
يوتيوب: youtube.com/@ahmedelfashny

نسخة معدة للنشر والطباعة

الشيخ أحمد إسماعيل الفشني